

الحياة في الصحراء الليبية في النصف الأول من القرن العشرين من خلال كتابات الرحالة الأجانب روزيتا فوربس أنموذجًا 1920-1921م

د. غالية يونس محمد

قسم التاريخ، كلية التاريخ والحضارة، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية البيضاء

Galiyaelderaani@gmail.com

المستخلص:

جاء الصحراء الليبية العديد من الرحالة الأجانب في مختلف المراحل التاريخية؛ ولعديد الأسباب، ومن هؤلاء الرحالة: الكاتبة والمستكشفة الإنجليزية روزيتا فوربس، التي جابت الصحراء الليبية، ووصلت إلى واحة الكفرة، معقل السنوسية في ذلك الوقت، وسجلت مشاهداتها في كتابها الشهير (سر الصحراء الكبرى، الكفرة). □□

من خلال البحث سوف نحاول التعرف على ملامح الحياة في الواحات الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين من خلال ذلك الكتاب، وسيكون المنهج، هو المنهج التاريخي والتحليلي.

الكلمات الدالة: الحركة السنوسية، الرحالة الأجانب، روزيتا فوربس، الصحراء الليبية، القرن العشرين، الكفرة.

Life in the Libyan Desert in the first half of the twentieth century through the writings of foreign travelers

Rosita Forbes as a model (1920-1921)

Dr. Ghalia Younis Muhammad,

Department of History, Faculty of History and Civilization, Sir Muhammad bin Ali Al-Senussi Islamic University, Al-Bayda.

Abstract

Many foreign travelers roamed the Libyan desert at various historical stages. For many reasons, one of these travelers was: the English writer and explorer Rosetta Forbes, who roamed the Libyan desert and reached the Kufra Oasis, the Sanusi stronghold at that time, and recorded her observations in her famous book (The Secret of the Sahara Desert).

Through research, we will learn about the features of life in the Libyan oases during the first half of the twentieth century through that book, and the method will be the historical and analytical method.

Keywords: Senussi movement, foreign travelers, Rosita Forbes, the Libyan desert, the twentieth century, Kufra.

مقدمة

أصبحت ليبيا (أو ما يُعرف بولاية طرابلس في ذلك الوقت) مكاناً يقصده الرحالة مع بداية القرن التاسع عشر، وزارها العديد من الرحالة العرب والأجانب، الذين سجلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم في كتب قُدمت للقارئ العربي، وكذلك الأوروبي، ومما لا شك فيه أن صورة الصحراء الليبية، والمجتمع الصحراوي الليبي، بما عليه الآن قد تشكلت ملامحها تدريجياً عبر العصور ولأنه لا يتسنى تشكيل صورة واضحة عنها إلا باستنتاج تاريخها، فقد جاء هذا البحث؛ لیسلط الأضواء على الحياة للمجتمع الصحراوي الليبي خلال فترة البحث، من خلال كتابات الرحالة الأجانب، وتخصيص كتابات الرحالة الإنجليزية روزيتا فوريس كأنموذج لذلك.

وُصف الرحالة بأنهم أكثر حرية في تسجيل المشاهد ونقلها من المؤرخين، فكانت كتاباتهم ومشاهداتهم مهمة لدراسة التاريخ الليبي، ولرسم صورة واضحة لمعالمه باستخدام التحليل والمقارنة، وعدم الاكتفاء بما كتبوه، والقصد من هذه الورقة هو تقديم الصورة التي رسمها الرحالة الأجانب للمجتمع الصحراوي الليبي وللصحراء الليبية، ومحاولة تقييمها، وسننطلق مع الرحالة الإنجليزية روزيتا فوريس كأنموذج، ونحاول رسم صورة للصحراء الليبية في بداية القرن العشرين، وبالتحديد بين عامي 1920، 1921م، وهو الزمن الذي قامت فيه الرحلة، كما سنتعرف على بعض أفكار الرحالة روزيتا عن السنوسية والعرب والمسلمين.

تساؤلات الدراسة: يحاول البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة، منها: من هي روزيتا فوريس؟ وما هي أهم رحلاتها، ومتى زارت الصحراء الليبية، وما كان خط سير رحلتها؟ من أعانها على القيام بالرحلة؟ وماهي انطباعاتها التي سجلتها عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعادات والتقاليد في الصحراء الليبية؟ وغيرها من الأسئلة.

سيكون المنهج في البحث هو المنهج التاريخي.

محاور البحث:

المحور الأول: الصحراء الليبية والرحالة الأجانب.

المحور الثاني: روزيتا فوريس، ترجمتها.

المحور الثالث: العادات والتقاليد في الصحراء الليبية وأخلاق أهل الصحراء.

المحور الرابع: بعض من الأخطاء المنهجية والتاريخية التي وقعت فيها روزيتا.

المحور الأول: الصحراء الليبية والرحالة الأجانب

الصحراء الكبرى هي ذلك الإقليم الشاسع الممتد من المحيط الأطلسي غرباً، إلى سواحل البحر الأحمر الغربية شرقاً، ومن سواحل شمال إفريقيا شمالاً إلى أواسطها جنوباً، وهي تُشكل ربع مساحة قارة إفريقيا، ورغم قساوة الحياة فيها، إلا أنها ظلت عامرة بالحياة، فكانت وما زالت عامرة بالوحدات التي سكنها البشر، وصارت بعضها مراكز حضارية مهمة، مثل واحتي الكفرة، والجغبوب، كما أنها كانت معبراً للقوافل التي كانت تسلك الطرق ما بين إفريقيا جنوب الصحراء، ومدن سواحل البحر المتوسط. إن موقع ليبيا على ساحل البحر المتوسط، وامتداد رقعتها الجغرافية جنوباً نحو الصحراء جعل منها بوابة عبور للعديد من الفئات، من العلماء والفقهاء، والأدباء والتجار، وحجاج بيت الله الحرام (جاك تيري، 2004م: ص19) والرحالة العرب والأجانب، وقد عبر أراضيها الكثير من الرحالة الأوروبيون، حيث كان لتأسيس الجمعية الإنجليزية لاكتشاف إفريقيا الوسطى (Association for Promoting the discovery of the interior of Africa)

الأثر الكبير في الدفع بالرحلات الأوروبية وتعزيزها، واستهلال عصر الاكتشافات المنظمة لأقاليم إفريقيا.

زار ليبيا العديد من الرحالة، نذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر: الرحالة الإنجليزي جيمس هامتلون (جيمس هاملتون، ب ت، ص33) والرحالة الأسباني دومينجو باديا (قاسم الجميلي، 2003م، ص176، كذلك: خالد الهدار، 2003م، ص78) الذي وصل إليها عام 1805م، والرحالة الإيطالي بالوديلا شيلا، الذي زار البلاد عام 1817م، والرحالة الفرنسي جان ريمون باشو ما بين عامي 1824، 1825م، (ميلاد محمد الزليتن، 2007م، ص15) الذي قام برحلة في إقليم برقة 1822-1823م، وسجلها في كتاب "رواية مرمرة وقورينا وواحي أوجلة ومرادة"، (جان ريمون، 1999م) والرحالة الألماني هانريش بارث، الذي اجتاز الصحراء الليبية في منتصف القرن التاسع عشر، أثناء رحلته الطويلة من المغرب إلى مصر ما بين 1845، 1846م (H. Barth, 1849, Pp392-432) كما قام الرحالة الألماني رولفس عام 1869م، برحلة نحو واحة الكفرة (جيرهارد رولفس، 2002م) وقدم أولئك الرحالة تقارير عن مجمل أوضاع البلاد التي مروا بها، الاجتماعية والاقتصادية والصحية والدينية والسياسية (خالد الهدار، 2009م: ص49-82)

كان كل أولئك الرحالة – من ذكرنا ومن لم نذكر- رحالة رجال، ولم يحدث أن قامت سيدة برحلة تعبر فيها صحراء، كان ذلك الحدث مثار تعجب وقلق وإنكار أيضاً، لكن في نهاية القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، سادت في أوروبا رؤية ثورية للنساء الأوروبيات الطموحات إلى المغامرة والطواف في رحلات طويلة ومجهولة، أسوة بالرجال، فظهرت العديد من الرحالة النساء، اللاتي استطعن أن ينجحن في رحلاتهن، ويحققن الأهداف المرجوة منها، وقد بررن ذاك النجاح بالقول بأن الرحالة النساء هن أكثر قدرة على رسم التفاصيل الصغيرة في المجتمع، فهن وحدهن استطعن التوغل في مجتمع الحريم (Elisabeth Kern, 2019. P18.) من هؤلاء النسوة نذكر روزيتا فوربس، المؤلفة والرحالة البريطانية التي قامت بعدد من الرحلات في إفريقيا والجزيرة العربية.

المحور الثاني: روزيتا فوربس، ترجمتها

ولدت جوان روزيتا فوربس Joan Rosita Forbes في السادس عشر من شهر يناير 1890م، في مدينة لنكولن Lincoln بمقاطعة لنكولنشاير Lincolnshire، الواقعة في الشرق الإنجليزي، والدها هربرت جيمس Herbert James، كان صاحب أراض زراعية، ووالدتها ابنة دونكان جرها Duncan Graham، رجل أعمال اسكتلندي، وكانت والدتها محافظة على التقاليد والأعراف، تزوجت روزيتا مبكراً من العقيد رونالد فوربس Ronald Forbes عام 1911م، وكان يكبرها بأثنتي عشر عاماً، في حين كانت روزيتا في ربيعها الواحد والعشرين، وبحكم طبيعة عمل زوجها فقد شددت الرحال برفقته إلى الهند، بيد أنها لم تكن سعيدة بزواجها التقليدي مما اضطرها إلى اتخاذ قرار الانفصال عام 1917م، ذلك القرار الذي لقي معارضة من والديها، لكنه أعاد إليها شيئاً من الثقة بنفسها على حد قولها، ثم عادت إلى أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، وسافرت إلى فرنسا لتشارك في العمل التطوعي، المتمثل في قيادتها لمركبات الإسعاف، التي كانت تنقل الجرحى والمصابين (Middleton, 2023, p26).

مكثت روزيتا في فرنسا قرابه السنتين، ونالت بعدها ميداليتين ثم ما لبثت عقب نهاية الحرب أن عادت أدراجها لحضور مؤتمر السلام عام 1919م؛ والبحث عن وظيفة مراسلة صحفية، وعملاً بتقاليد الرحلات الفيكتريات، أمثال الليدي آن بلنت، وإيزابيل إبير هارت، قامت فوربس بالرحلة وهي مرتدية لباس امرأة عربية، مع إضافة كاميرا مخفية تحت غطاء رأسها؛ لتبرهن أنها لا تقل شأناً عن غيرها من الرحالة الغربيين، في وقت أصبح فيه السفر بالنسبة للعديد من النساء بمثابة تجربة تحريرية (Elisabeth Kern, 2019. P10) ولعل اختراقها الصحراء الكبرى ووصولها لواحة

الكفرة (للمزيد: ينظر الطاهر أحمد الزاوي، 1968م، ص ص 292، 293) عام 1920م، يمثل انجازاً حقيقياً، ليس فقط لتجشّمها الصعاب والمخاطر، إذ كانت تلك الواحة خاضعة لسلطة السيد إدريس السنوسي (Major.E.E. Evane Pritchard, . p8,)، بعيداً عن السيطرة الإيطالية (شريعة أمين قاضي، 2015/2014م، ص ص 29-74) التي لن تستطيع أن تقدم لها الحماية، بل لكونها أول امرأة أوروبية تحط رحالها في تلك الواحة النائية، وقد أحدثت رحلة روزيتا إلى واحة الكفرة واصدارها لكتاب (سر الصحراء الكبرى: الكفرة) The Secret of the Sahara: Kufara أحدثت شهرة واسعة في الأوساط الغربية، ورافقها خلال رحلتها العالم المصري المستكشف أحمد حسنين بيك، الذي دانت فوربس لخبرته ومعرفته في تحقيق كثير من إنجازاتها، كانت بعثة استكشاف الكفرة بمنزلة الفتح الجغرافي، وتم التعامل مع كتب فوربس ورحلاتها، بتقدير تام حيث نوقشت في مجلات الجمعية الجغرافية الملكية وجمعيات آسيا الوسطى (Middleton, 2023, p26)

ألفت روزيتا عددًا من الكتب الأخرى، منها كتاب "الريسوني سلطان الجبال" والذي تحكي فيه سيرة حياة أحد حكام الريف المغربي، كما أن لها كتاباً آخر عنوانه "الطريق الممنوع من كابول إلى سمرقند" والمنشور عام 1937، وغيرها من الكتب (ويكيبيديا [wikipedia.org](https://www.wikipedia.org)) تاريخ الزيارة: الجمعة 12\8\2023م).

المحور الثالث: العادات والتقاليد في الصحراء الليبية وأهل الصحراء

بدأت روزيتا فوربس رحلتها من مدينة بنغازي، ثم اتجهت إلى أجدابيا، التي وصلتها في اليوم الثامن والعشرين من نوفمبر من العام 1920م، ثم توقفت في جالو في العشرين من ديسمبر 1920م، وواصلت إلى بوطفال، حيث وصلتها في الثاني من يناير 1921م، وبعد ذلك بأربعة أيام، أي في السادس من يناير وصلت إلى بزيمة، ثم وصلت إلى الكفرة في العاشر من الشهر نفسه، ومن الكفرة سارت نحو الجغبوب، ثم إلى سيوة، ومنها إلى مصر، ثم عادت إلى أوروبا.

المدن والواحات في الصحراء الليبية

كان كتاب: سر الصحراء الكبرى، الكفرة، الذي كتبه روزيتا فوربس بعد عودتها من رحلتها إلى الكفرة، غني بالمعلومات عن المدن والواحات في الصحراء الليبية، فعلى سبيل المثال: وصفت إجدابيا بأنها مجموعة مبعثرة من المنازل الرملية، يحيط بها جدران الشرق (الغربية) الخالية من النوافذ، وهي عبارة عن رقعة من الأرض المسطحة المهجورة، حمراء الرمال، تتخللها صخور وحُزم من عشب خشن رمادي اللون، هو بمثابة غذاء لقوافل الإبل النادرة (ROSITA FORBES, 1921, P 1) وقد

مكثت في إجدابيا لبعض الوقت في ضيافة العائلة السنوسية، ثم بدأت تتوغل في الصحراء الليبية متجهة نحو واحة (الكفرة) (ROSITA FORBES, 1921, P2). أشارت روزيتا إلى بعض الرحالة الذين سبقوها في زيارة الصحراء الليبية، وتقديم وصف لها، منهم: رولفس الألماني، وهورنمان الذي وصف طريقة كلام أهل واحة تيبو بالقرب من واحة العقيلة، بأن أصواتهم تشبه تغريد العصافير (ROSITA FORBES, 1921, P 147)

النوع البدوية والمنازل

مرت روزيتا في طريقها إلى الكفرة ببعض النجوع منها: نجع قبيلة العواكير في نواحي إجدابيا، ووصفته بالفقر، ولفت نظرها نوعية الخيام، والمواد التي تُصنع منها، وقارنتها بمخيمات الشَّعر التي كان يستخدمها السوريون والجزائريون، واستنتجت أن وجه الاختلاف يكمن في نوعية المواد الخام التي تصنع منها الخيام، وكذلك في هندستها، فقد كانت الخيام الليبية مصنوعة من الخيش مختلف الألوان، ومنخفضة الأسقف، إلى حد أن الإنسان لا يستطيع الوقوف منتصب القامة عندما يكون داخل إحداها (ROSITA FORBES, 1921, P 2).

أما المنازل في واحة العقيلة، فهي كلها مبنية تحت ظلال النخيل، هناك مجموعة من القباب الطينية الصغيرة مربعة الشكل، ويبدو شكل المنازل هنا مختلفاً اختلافاً كبيراً عنه في إجدابيا، فهي منتشرة انتشاراً كبيراً، على سهل من الحجر الرمل الأبيض تعطي (العقيلة) انطباعاً أولياً عن بلدة مخربة بسبب أحواشها الصغيرة المبنية من الطين دون اسقف، وممراتها غير المنتظمة المؤدية إلى المداخل وجدرانها غير المكتملة، لكنها تصف منظرها بالرائع للغاية إذا ما نُظر إليه على خلفية الشمس الغاربة، ROSITA (FORBES, 1921, P 142) كما أعطت فكرة عن بعض المواد المستخدمة في البناء، مثل الطين الذي يجفف في الشمس (ROSITA FORBES, 1921, P 10-58) ثم تنتقل إلى وصف مدهش حين شبهت المنازل في واحة الهواري بالمنازل الأوروبية، ووصفتها بأنها جيدة الإنشاء، مبنية من الطوب الرملي، ومصفوفة في صفوف منتظمة، واسقفها مربعة الشكل، صلبة ومسطحة، ولها نوافذ، وعدد من الأحواش لها جدران منخفضة تماماً، وكلها مرتبة وواسعة (ROSITA FORBES, 1921, P 176).

الطقس في الصحراء الليبية

تحدثت روزيتا عن حالة الطقس في الصحراء الليبية في أكثر من مكان، وكيف يتأقلم سكان الصحراء معه، وأن لهم طرقهم الخاصة للتغلب على صعوبة الطقس، خاصة أثناء انتقالهم من مكان إلى آخر، ومن بين تلك الطرق: الغناء، حيث كانوا يتغلبون

على برودة الطقس ليلاً برفع أصواتهم بالغناء، وكمثال على ذلك، ذكرت " ... كان الجو بارداً، والرجال يبدو عليهم الوجوم، وهم يغنون أغاني بربرية مستمرة. ويحثون دوابهم على الإسراع، مستخدمين في ذلك صيحات غريبة: " واصل سيرك يا جميل بين نفسك لأنك سترتاح حالاً..... قلب القوي لا يتعثر شيء لطيف شيء لطيف..... مع السلامة" وإذا ما صمت شخصٌ منهم لمدة تزيد على دقيقة واحدة، يناديه الآخرون بالاسم، ويطلبون منه أن يرفع صوته" (ROSITA FORBES, 1921, P 86).

لم تغفل روزيتا الحديث عن رياح القبلي، تلك الرياح الموسمية التي تهب من ناحية الجنوب، وقالت عنها بأنها قارصة البرودة في الليل، أما في النهار فكانت تولمهم بفعل الرمال والحرارة الزائدة عن الحد، ROSITA FORBES, 1921, P 112, (142).

وعن الماء ذكرت بأنه شحيح- بطبيعة الحال في الصحراء- وأنهم كانوا يعثرون بين الفينة والأخرى على بعض الآبار، كان بعضها مغطى بالرمال، مما اضطر مرافقيها للحفر وإزالة الرمال للوصول إلى الماء، كما أن بعض الواحات مياهها مالحة، مثل واحة جالو، التي كان سكانها يجلبون الماء على الدواب من بئر بوطفال ROSITA (FORBES, 1921, P 121).

الزراعة في الصحراء

أشارت في مواضع كثيرة، إلى زراعة النخيل كمنتج أساسي، ثم إلى أشجار الزيتون، والفواكه خاصة في محيط الزوايا السنوسية، كما أشارت إلى مشاهدتها لحدايق كثيرة، مرتبة ترتيباً جيداً، وتزرع فيها الخضروات، والخوخ والشعير والتين الشوكي (ROSITA FORBES, 1921) P 178.

العادات والتقاليد الاجتماعية الصحراوية

كانت روزيتا منبهرة بحفاوة الاستقبال التي كانت تحظى بها مع مرافقيها من قبل الأهالي، وكانت مدهوثة من طريقتهم في الترحيب، حيث قالت: "ويروح الرجل يحيينا بحرارة" مرحباً... تصحبكم السلامة" (ROSITA FORBES, 1921, P 4) كما وصفت في مكان آخر طريقة الأهالي في استقبال الضيوف وتوديعهم، فقالت: "عندما خرجنا من بلدة (قمينس) رافقنا ثلاثة من قبيلة العواقير، كانوا يمتطون خيولهم ويركضون بها من حولنا في شكل دوائر من باب استعراض فروسياتهم ROSITA (FORBES, 1921, P 4) وهذا الاستعراض من أهم التقاليد التي يتبعها السكان في برقة لتحية ضيوفهم أو لتوديعهم، ومع تلك الحفاوة كان لهم حذر واضح من الأجانب،

فقد ذكرت روزيتا ".... مخيم صغير (نجع) كان مكون من حوالي ست خيام، عرجنا على المخيم عليهم يسوون لنا شيئاً من الشاي، رفضوا في البداية لأنني مسيحية، وبعد أن جاءت امرأة للتفتيش... قالت للآخرين: كل شيء على ما يرام، إنها شيء صغير ولطيف وبصحبته رجل مسلم،... فرشوا لنا كليماً مصنوعاً من وبر الإبل كي نجلس عليه، لكنهم لم يكونوا مقتنعين تماماً بحسن نوايانا" ROSITA FORBES, (1921, P 4).

تحدثت روزيتا عن تقاليد الزواج في الصحراء الليبية، وقد صادف أن حضرت عقد زواج، فذكرت بأن الصداق في ذلك الزواج كان ثلاثة جمال يدفعها العريس إلى والد العروس (ROSITA FORBES, 1921, P 137) وسن الزواج التاسعة للبنات، والثالثة عشر للولد (ROSITA FORBES, 1921, P 117) كما تحدثت عن عادات سكان الصحراء في الأكل والشرب، واعتمادهم بشكل أساسي على التمر، وحليب الماعز والإبل، وعن عادة شرب الشاي الثقيل، خاصة الشاي الأخضر الذي ذكرته في أكثر من موضع ROSITA FORBES, 1921, Pp 34,106,121,156, (224,251).

المرأة في الصحراء الليبية

لكونها امرأة، فقد تمكنت روزيتا من التعمق في المجتمع النسوي في الصحراء الليبية، حيث صاحبت النساء، وجلست وتحدثت معهن، واستطاعت أن تضيف الكثير من المعلومات عن عالمهن، فقد وصفت الملابس التي ترتديها نساء الصحراء، وكذلك طريقتهم في التزين، وأنواع الحلي وخاماتها، فقالت عن ملابس بعض النساء: أنها كانت مقلمة بالأحمر والأصفر، ترتدي عليه المرأة عقداً ثقيلاً من الفضة المنقوشة" (ROSITA FORBES, 1921, P 4) غير أن ذلك النمط لم يكن عاماً على كل نساء الصحراء، حيث وصفت نساء في واحة العقيلة، بأنهن ملفوفات في طيات من ثيابهن الزرقاء، الطويلة، التي كانت زاهية اللون في ضوء الشمس، وكانت تلوح لها في بعض الأحيان ألوان أخرى للملابس النسوية، منها البرتقالي والقرمزي، أما عن الحلي، فقد كان أغلبها من الفضة، مع استعمال الذهب في بعض الأماكن، فقد ذكرت أن نساء العقيلة كن يرتدين أقراط الذهب في آذانهن (ROSITA FORBES, 1921, P 94) وفي موضع ثالث ذكرت بأن إحدى البنات الصغيرات، وكان اسمها زينب، كانت ترتدي حلقاتاً ضخماً من الفضة، وأساور من الفضة، وحزاماً مطرزاً من الجلد فيه حوال عشرة أكياس صغيرة تحمل فيها مستلزمات زينتها، في حين كانت رفيقتها حواء، قد ربطت رداؤها، مستخدمة شريحة من الجلد قرمزية اللون تحمل بعض الأحجبة في جيوب صغيرة،

وكانت كلاهما تضعان عصا عريضة من المرجان قرمزي اللون في فتحات أنوفهما (ROSITA FORBES, 1921, P 117) وتحدثت روزيتا عن طريقة استعمال نساء الصحراء للوشم على الوجه والجسم كنوع من التزين، وللتمييز وكنوع من تحديد الهوية، فقد كانت نساء العقيلة يضعن وشم القبيلة على جباههن وذقونهن ROSITA (FORBES, 1921, P94).

تحدثت أيضًا عن ملامح نساء الصحراء، فوصفتهم بأن وجوههن زيتونية اللون، وذقونهن مدببة، وعيونهن سوداء برموش ثقيلة سوداء، وملامحهن متناسقة، وأسنانهم من أجمل أنواع اللؤلؤ الذي صادفته، وحين سألتهم روزيتا عن سر بياض أسنانهم، عزون ذلك لاستعمالهم للتمر (ROSITA FORBES, 1921, P 162). كذلك وصفت نساء واحة الهواري، بأنهن غير محجبات، ممشوقات القامة، ويرتدين ثياباً لونها أحمر غامق، وغير محزمة ROSITA FORBES, 1921, P (178, 179).

التجارة في الصحراء

كانت الصحراء الليبية على مر العصور ممراً لعبور القوافل التجارية التي كانت تتحرك بين وسط إفريقيا، وشمالها، وبين غربها والشرق الآسيوي، وكانت المراكز التجارية، والواحات بمثابة محطات استراحة، أو تبادل بضائع، مثل فزان والكفرة وغيرها، غير أن ذلك تغير بفعل عدة عوامل لعل أهمها حركة الكشف الجغرافية الأوروبية التي حولت الاهتمام بطرق التجارة التقليدية، كما أن ظروف البلاد السياسية والعسكرية في الفترة التي زارت فيها روزيتا الصحراء الليبية قد فرضت قسوتها على حركة التجارة، حيث بدأ أثر الاحتلال الإيطالي لمدن السواحل، والحرب العالمية الأولى التي انطفت شعلتها قبل سنوات، بدأ أثرها واضحاً، بل وشديد الأثر في الأسواق الصحراوية وحركة التجارة، حيث ذكرت روزيتا أنها لم تصادف حركة تسوق في الصحراء، خلال رحلتها التي امتدت من بنغازي إلى الكفرة، وقالت أنه ليس في الصحراء حركة تسوق، فليس هناك زبائن منتظمون، ولا أسواق منتظمة؛ لذا فإن شراء الطعام أمر مستحيل، بحسب قول روزيتا، وتوجب على سكان الصحراء، إنتاج ما يكفيهم من غذائهم اليومي (ROSITA FORBES, 1921, P 152, 153).

المأكولات والمشروبات الصحراوية

حرصت روزيتا على إظهار التفاوت الطبقي بين سكان الصحراء الليبية، والواضح لها من خلال طريقتهم في الأكل والشرب، فذكرت أن سكان الصحراء يختلفون عن بعضهم البعض في نوعية الأكل، بحسب الحالة الاقتصادية، فعندما

استضافهم السيد رضا السنوسي، وكان بصحبته السيد صفي الدين السنوسي لحفلة عشاء، كان العشاء مكوناً من اثني عشر صنفاً، تناولوه طوال ثلاث ساعات، من الحساء والدجاج وشرائح لحم الضأن المشوي والباذنجان المحشي بالمفروم، وشرائح من اللحم المحمر، وكنتف الضأن المطبوخة في عجينة سائلة من الدقيق والحليب والبيض، ويخنة الضأن مع الخضروات، والطماطم المحشوة، والأرز، والنخاع، والأومليت الحلو (ROSITA FORBES, 1921, P 13) ومن بين المشروبات التي عرفت بها الصحراء، ذكرت روزيتا اللقبي، وهو عصير النخيل، كما تحدثت عن طريقة تحضيره واستخدامه من قبل سكان الصحراء ROSITA FORBES, 1921, Pp (152,153).

المحور الرابع: بعض من الأخطاء المنهجية والتاريخية التي وقعت فيها روزيتا.

وقعت روزيتا في عدد من الأخطاء التاريخية، منها أنها ذكرت بأن السيد محمد بن علي السنوسي -مؤسس الطريقة السنوسية- كان لا يكشف وجهه المقنع لأتباعه أبداً، في حين صورته وهو حاسر الوجه منتشرة في طيات الكتب، وعلى الشبكة العنكبوتية (انظر ملحق رقم 3) كما ذكرت بأن أتباعه بالغوا من التكريم له حدّاً جعلهم يسجدون لتقبيل قدميه (ROSITA FORBES, 1921, P 15) وتلك الأشياء لم يذكرها مؤرخي الطريقة السنوسية (نصر مصطفى نصر، 2005، ص 23) كما أنها تخالف المبادئ الإسلامية التي كان السيد محمد بن علي السنوسي يدعو لها، وقد ألف من أجل ذلك العديد من الكتب، منها كتاب (إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن) الذي تتناول وجوب العمل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، والمعروف لدى المؤرخين أن الطريقة التي أسسها الإمام هي أول مراحل التحرر الإسلامي المنظم، والتي عملت على تحقيق وحدة الشعوب الإسلامية (محمود السيد، 2000م، ص 309).

كما وقعت روزيتا في كتاباتها في ذلك التناقض الذي يقع فيه بعض الكتاب الأوروبيون، عندما كتبوا عن الشرق، واستخدمت كذلك أساليب المستشرقين، وسارت على مناهجهم في تناول الموضوعات التي تخص العرب والمسلمين، فهي حين تصف البدوي وسكان الصحراء تصفهم بالتوحش، ولا تكتفي بذلك بل توحى للقارئ الأوروبي أنه الأرقى والأسمى والأكثر حضارة، فتقول: "هنا نجد قانون الأخلاق الأوروبي يخفي تماماً، الإنسان يتحول إلى مخلوق متوحش بسيط، قد يرتكب معظم الجرائم بوقاحة كاملة، وعلى العكس من ذلك نجد أن الإنسان يفهم أن الأعمال التي تُعد أموراً طبيعية ومسموحاً بها في لندن، يمكن أن تكون أخطاء لا تغتفر في الصحراء الكبرى، القوانين التي يخضع لها الرحالة والجمالون هي: يجب ألا تأكل أو تشرب أكثر من نصيبك، أو

حصتك، لن يسمح لك بالتجوال في الأماكن التي سبق لك أن زرتها أو المسافات التي قطعتها" (ROSITA FORBES, 1921, P 142). وهنا توقعنا روزيتا في حيرة، هل العدالة في التوزيع، والتنظيم والنظام لا توجد في قانون الأخلاق الأوروبي؟ هل تلك الأخلاقيات هي من التوحش؟ هل قصدت أن تدم إنسان الصحراء، عندما وصفته بصفتين (متوحش وبسيط) أم قصدت مدحه؟.

إن روزيتا (الأوروبية) المنشبعة بالأساليب الاستشراقية، لم تستطع فهم، أو ربما لم تستطع وصف الأشياء بمسمياتها، فهي حين قابلت ذلك الفتى الأعمى (ROSITA FORBES, 1921, P 13) وصفت ما حدث بأنه ظاهرة غريبة، ولم تصف الفتى بالذكاء وسرعة البديهة، وهذه النظرة الدونية لسكان الصحراء، قد أكدتها روزيتا في مكان آخر، حيث ذكرت بأن البدو في الصحراء ليس لديهم فكرة عن تقدير المسافة، كما ليس لديهم أسماء للنباتات أو الزهور التي يرونها كل يوم ROSITA (FORBES, 1921, P137) وهذا القول إن صح على البعض، لا يمكن تعميمه على الجميع.

كان من أهم الآثار التي تركتها رحلة روزيتا إلى الكفرة، أنها كانت تمهيداً وتشجيعاً لرحلات أخرى قامت بها روزيتا، فقررت بعدها القيام برحلة إلى جدة مولتها صحيفة التايمز، بأجر وصلت قيمته إلى 5000 جنيه إسترليني (خالد الكرييري، 2019م، ص117).

الخاتمة

من خلال البحث يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

- أن الصحراء الليبية كانت هدفاً لاستكشاف الكثير من الرحالة الأوروبيين.
- أن روزيتا فوربس كانت أو رحلة أنثى زارت الصحراء الليبية.
- أن روزيتا، ومن خلال كتابها (سر الصحراء الكبرى، الكفرة) قد قدمت الكثير من المعلومات عن الصحراء الليبية، والعادات والتقاليد فيها، كما قدمت الكثير من الوصف لنساء الصحراء.
- وقعت روزيتا فوربس في الكثير من الأخطاء المنهجية والتاريخية.
- إن كانت الكتابات الأوروبية هي مصدر مهم من مصادر التعرف على الصحراء في فترة ما، مع ذلك ينبغي تناولها والأخذ بها بحذر.

الملاحق

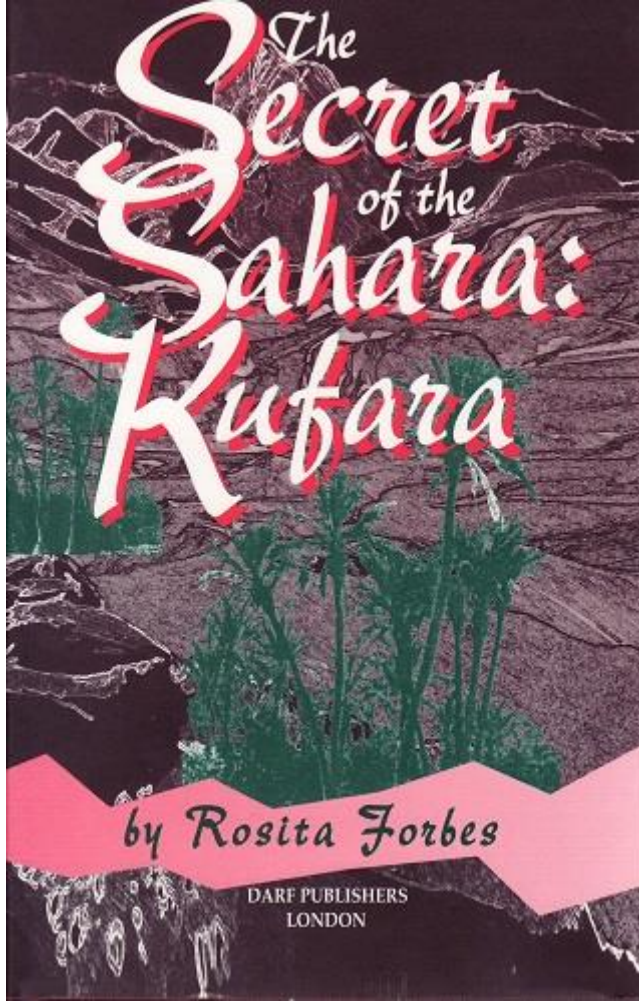
ملحق رقم (1)

صورة الرحالة روزيتا فوريس بالزي الليبي. ROSITA FORBES, Op, ict, p16.



ملحق رقم (2)

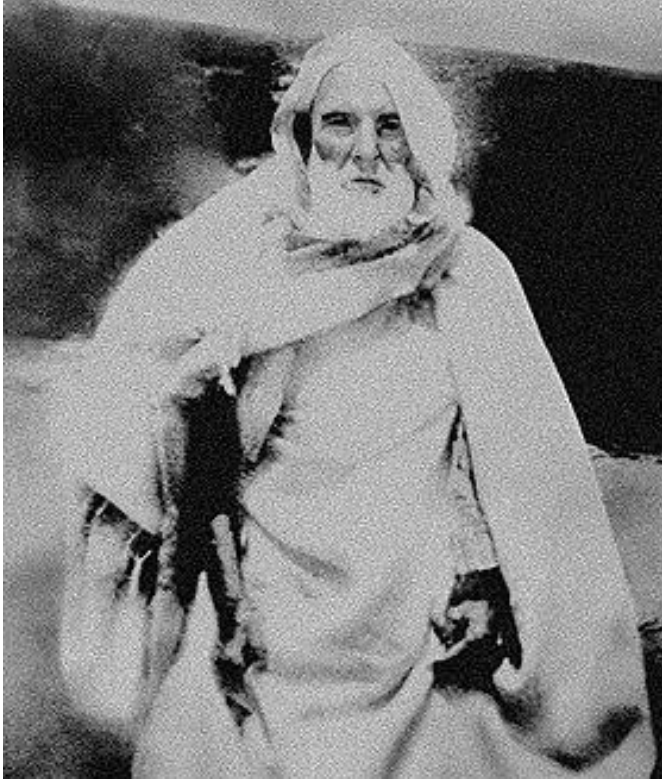
أحدث طبعة لكتاب: سر الصحراء الكبرى (الكفرة)، دار دارف، لندن 2001م



ملحق رقم (3)

صورة للسيد محمد بن علي السنوسي

[wikipedia.org](https://www.wikipedia.org)) محمد بن علي السنوسي - ويكيبيديا



مصادر ومراجع البحث

أولاً: المراجع العربية والمعرّبة:

- باشو، جان ريمون (1999م) رواية رحلة إلى مرمرة وقورينة وواحتي أوجلة ومراده، تعريب: مفتاح المبسوري، دار الجبل، (ب. م).
- تيري، جاك، (2004م) تاريخ الصحراء الليبية عبر العصور، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا.
- الجميلي، قاسم (2003م) صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- رولفس، جيرهارد (2002م) رحلة إلى الكفرة (تقارير الرحالة الألماني جيرهارد رولفس عن رحلته من طرابلس إلى الكفرة عبر بني وليد وسوكنة وهون وودان وزلة وأوجلة وجالو وبنغازي) ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- الزاوي، الطاهر أحمد (1986م) معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا.
- السيد، محمود (2000م) تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) الرياض.
- هاملتون، جيمس (ب، ت) جولات في شمال إفريقيا، تعريب: المبروك الصويغي، دار الفرجاني، طرابلس.
- الهدار، خالد محمد (2009م) مدونات الرحالة الأجانب عن الأوضاع الصحية في برقة منذ القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن العشرين، أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت بمدينة المرج/ ليبيا عن الأوضاع الصحية في ليبيا 1835-1950م، والتي عُقدت في الفترة من 30/ يونيو إلى 4 يوليو 2001م، تحرير محمّدو أحمد الديك، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا.

ثانياً: الرسائل العلمية

- قاضي، شريفة أمين (2014/ 2015م) الاحتلال الإيطالي والمقاومة الليبية 1911-1951م، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ.

ثالثاً: الدوريات

- الزليتنى، ميلاد أمحمد (2007م) موقف السلطات الحاكمة في ليبيا من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في ليبيا الفترة 1798-1923م، مجلة كلية الآداب، ع1.
- الكريري، خالد بن عبد الله (2019م) جدة في كتابات روزيتا فوربس، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواقشوط، ع35.
- نصر، مصطفى نصر (2005م) عناية الإمام محمد بن علي السنوسي بالسنة النبوية، مجلة البحوث العلمية، مجلد 1، ع2.
- الهدار، خالد محمد (2003م) زيارة الرحالة الإسباني علي بك العباسي لطرابلس أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، س23، ع1، 2، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، طرابلس.

رابعاً: المراجع الأجنبية

- Pritchard, Major.E.E. Evane , BIOGRAPHICL NOTES on members of THE SANUSI FAMILY
- Kern ,Elisabeth, Female Travellers to Africa 1850-1900, Magistra der Philosophie,Universitat Wien, 2019.
- GEORGE H. DORAN COMPANY, 1921
- H. Barth,wanderungen durch die Kustenlander des Mittelmeers, in den Jahren 1845-1847, Berlin, 1849.
- Middleton,Forbes,Joan Rosita (1890-1967) Oxford Dictionary of national Biography, 2011, accessed 6\12, 2023, Shamise" awoman who could not be tamed
- ROSITA FORBES, THE SECRET OF THE SAHARA : KUFARA NEW, Sr YORK

خامساً: المواقع الإلكترونية

- روزيتا فوربس – ويكيبيديا (wikipedia.org) تاريخ الزيارة: الجمعة 2023\12\8م.